

أضواء البيان

@ 515 * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُورٌ مَرَّ فُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ
مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيٌّ مَبْدُوثَةٌ { . وهذا هو قسم
القسم الأول في بيان حال أهل الجنة ، ولم يعطف بالواو إيذاناً بكمال تباين مضمونيهما .
ويومئذٍ : هو يوم الغاشية المتقدم ، وهذا يقتضي أن الغاشية عامة في الفريقين . وإن
اختلفت أحوالها مع مختلف الناس ، وعليه فمنهم من تغشاه بهولها ، ومنهم من تغشاه
بنعيمها . وهي بالنسبة لكل منهما متناهية فيما تغشاهم به ، وهي صادقة على الفريقين .
ومعلوم أن الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر ، بمعنى الشمول والإحاطة التامة .
ومن إطلاقها على الخير ما جاء في الحديث : (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى فيه
إلاَّ حفَّتْهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده) أخرجه مسلم . .
وبيان ذلك وتحقيقه في حق كلا القسمين كالآتي : .

أما الأول منهما : وهو الغاشية في حق أهل النار فقد غشيم العذاب حساً ومعنى ظاهراً
وباطناً أو لا خشوع في ذلة ، وهي ناحية نفسية ، وهي أثقل أحياناً من الناحية المادية ،
فقد يختار بعض الناس الموت عنها ، ثم مع الذلة العمل والنصب حساً وبدناً ، ومع النصب
الشديد تصلى ناراً حامية ، وكان يكفي تصلى ناراً . ولكن إتباعها بوصفها حامية فهو
زيادة في إبراز عذابهم وزيادة في غشيان العذاب لهم ، ثم يسقون من عين آنية متناهية في
الحرارة فيكونون بين نار حامية من الخارج وحميم من الداخل تصهر منه البطون ، فهو أتم
في الشمول للغاشية لهم من جميع الوجوه ، وفي حق القسم المقابل تعميم كامل وسرور شامل
كالآتي ، وجوه ناعمة مكتملة النعمة ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم . .

وهذا في شموله من الناحية المعنوية كمقابلة في القسم الأول بدلاً من خاشعة في ذلة
ناعمة في نضرة لسعيها راضية الذي سعته في الدنيا ، والذي تسعى لتحصيله أو ثوابه في جنة
عالية بدلاً من عمل ونصب ، لا تسمع فيها لاغية : منزلة أدبية رفيعة حيث لا تسمع فيها كلمة
لغو ولا يليق بها ، فهو إكرام لهم حتى في الكلمة التي يسمعونها ، كما في قوله : { لا
يَسْمَعُونَ فِيهَا